



الأحد 1 مايو 2022 11:53 م

يوم التغابن

{يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ } ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ } وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَعَمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا } ذَلِكَ الْغَوْزُ الْعَظِيمُ}

التغابن من أسماء يوم القيامة، ومن الكلمات القرآنية التي تكفي معرفتها والعمل بها لإصلاح الكثير، وربما لمثل هذا السبب جعل الله- سبحانه- في القرآن سورة بهذا الاسم (التغابن) حثًا لنا على الانتباه، والتعلم، والفهم الصحيح، فما أحوجنا لمثل هذا !

يدور معنى التغابن حول المخادعة والغفلة، قال الإمام الفيومي رحمه الله: "عَبَّئَهُ فِي التَّبِيحِ وَالسَّرَاءِ عَبَّئًا مِنْ تَابٍ صَرَبَ، مِنْهُ عَلَبَةٌ فَانْعَبَنَ، وَعَبَّئَهُ أَي تَقْصَهُ، وَعَيْنٌ بِالْيَتَاءِ لِلْمَفْعُولِ فَهُوَ مَعْبُودٌ أَي مَنْقُوصٌ فِي التَّمَنِّي أَوْ غَيْرِهِ، وَعَيْنٌ رَأْبُهُ عَبَّئًا مِنْ تَابٍ تَعِبَ قَلْتُ فِطْنَتُهُ وَدَكَؤُهُ..". وقال الشنقيطي: الغبن الشعور بالنقص.

ومن ذلك سمي يوم القيامة: (يوم التغابن)؛ لما يظهر فيه من خسران أهل الكفر والصلال، حيث باعوا آخرتهم، واشتروا بها دنياهم؛ فظهر خسرانهم، وبور تجارتهم. قال الراغب الأصفهاني- رحمه الله:- العَبْنُ أن تبخس صاحبك في معاملة بينك وبينه، بضرب من الإخفاء، فإن كان ذلك في مال يقال: عَبَنَ فلانٌ، وإن كان في رأي يقال: عَبَنَ، وَعَبَيْتُ كَذَا عَبَّئًا، إذا غفلت عنه، فعددت ذلك عَبَّئًا.

ويوم التَّعَابُنِ: يوم القيامة، لظهور العَيْنِ فِي المِبايعة المشار إليها بقوله: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ} (البقرة)، ويقول: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ..} (التوبة) ويقول: {الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأُثْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا} (آل عمران)، فعلموا أنهم عُيِنُوا فيما تركوا من المِبايعة، وفيما تعاطوه من ذلك جميعا. وسئل بعضهم عن يوم التَّعَابُنِ؟ فقال: تبدو الأشياء لهم بخلاف مقاديرهم في الدنيا. وعن ابن عباس- رضى الله عنهما- أنه من أسماء يوم القيامة، عظمه، وحذره عباده .

وقال البغوي : " يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ، بَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَجْمَعُ فِيهِ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ، وَهُوَ تَقَاعُلٌ مِنَ الْعَيْنِ وَهُوَ قَوْثُ الْحَطِّ، وَالْمُرَادُ بِالْمَعْبُودِ مَنْ عُنِيَ عَنْ أَهْلِهِ وَمَنَازِلِهِ فِي الْجَنَّةِ فَيَطْهَرُ يَوْمَئِذٍ عَبْنٌ كُلُّ كَافِرٍ يَتَزَكَّى الْإِيمَانَ، وَعَبْنٌ كُلُّ مُؤْمِنٍ يَتَّقِصِيرَهُ فِي الْإِحْسَانِ. انتهى من تفسير البغوي

وقال الشنقيطي: وقد بين العلماء حقيقة الغبن في هذا المقام، بأن كل إنسان له مكان في الجنة ومكان في النار، فإذا دخل أهل النار النار بقيت أماكنهم في الجنة، وإذا دخل أهل الجنة الجنة بقيت أماكنهم في النار، وهناك تكون منازل أهل الجنة في النار لأهل النار، ومنازل أهل النار في الجنة لأهل الجنة يتوارثونها عنهم، فيكون الغبن الأليم، وهو استبدال مكان في النار، بمكان في الجنة؛ ورنوا أماكن الآخرين الذين ذهبوا إلى النار" انتهى من "أضواء البيان"

وسئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: عن معنى التغابن، فأجاب- رحمه الله تعالى:- التغابن هو الغلبة بالغبن، وقد ذكر الله- عز وجل- في هذه السورة أن يوم التغابن حقيقة هو يوم القيامة، قال الله تعالى (يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ) فالتغابن الحقيقي هو التغابن في الآخرة حيث يكون فريق في الجنة، وفريق في السعير،

اما التغابن في الدنيا فليس بشيء بالنسبة للتغابن في الآخرة، ولهذا قال الله تعالى: {انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْصِيلًا}

ونفصل قليلاً مع القرطبي- رحمه الله- بالتصرف المعتاد تسهيلاً واختصاراً، فيقول في تفسيره: والله يعاقبكم يوم يجمعكم، والغبن النقص، يقال: غبنه غبنا إذا أخذ الشيء منه بدون قيمته. ويوم الجمع يوم يجمع الله الأولين والآخرين والإنس والجن وأهل السماء وأهل الأرض. وقيل: هو يوم يجمع الله بين كل عبد وعمله، وقيل: لأنه يجمع فيه بين الظالم والمظلوم، وقيل: لأنه يجمع فيه بين كل نبي وأمه، وقيل: لأنه يجمع فيه بين ثواب أهل الطاعات وعقاب أهل المعاصي، ذَلِكَ يَوْمَ التَّغَابُنِ أَي يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وسمى يوم القيامة يوم التغابن؛ لأنه غبن فيه أهل الجنة أهل النار، أي أن أهل الجنة أخذوا الجنة، وأخذ أهل النار النار على طريق المبادلة؛ فوقع الغبن لأجل مبادلتهم الخير بالشر، والجيد بالردىء، والنعيم بالعذاب، يقال: غبنت فلانا إذا بايعته أو شاربته فكان النقص عليه والغلبة لك، وكذا أهل الجنة وأهل النار؛ على ما يأتي بيانه. قال المفسرون: فالمغبون من غبن أهله ومنازله في الجنة، ويظهر يومئذ غبن كل كافر بترك الإيمان، وغبن كل مؤمن بتقصيره في الإحسان وتضييعه الأيام، قال الزجاج: وغبن من ارتفعت منزلته في الجنة من كان دون منزلته، فإن قيل: فأى معاملة وقعت بينهما حتى يقع الغبن فيها، قيل له: هو تمثيل الغبن في الشراء والبيع؛ كما قال تعالى: {أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى} (البقرة) ولما ذكر أن الكفار اشتروا الضلالة بالهدى وما ربحوا في تجارتهم بل خسروا، ذكر أيضا أنهم غبنوا؛ وذلك أن أهل الجنة اشتروا الآخرة بترك الدنيا، واشتري أهل النار الدنيا بترك الآخرة، وهذا نوع مبادلة اتساعا ومجازا.

وقد فرق الله سبحانه وتعالى الخلق فريقين: فريقا للجنة وفريقا للنار، ومنازل الكل موضوعة في الجنة والنار، فقد يسبق الخذلان على العبد فيكون من أهل النار، فيحصل الموفق على منزل المخدول ومنزل الموفق في النار للمخدول؛ فكأنه وقع التبادل فحصل التغابن.

وقد يقع التغابن في غير ذلك، ولكنه أراد التغابن الذي لا جبران لنهايته، وقال الحسن وقتادة: بلغنا أن التغابن في ثلاثة أصناف، رجل علم علما فعلمه وضيعه هو ولم يعمل به فشقى به، وعمل به من تعلمه منه فنجا به، ورجل اكتسب مالا من وجوه يسأل عنها وشح عليه، وفرط في طاعة ربه بسببه، ولم يعمل فيه خيرا، وتركه لو ارث لا حساب عليه فيه؛ فعمل ذلك الوارث فيه بطاعة ربه، ورجل كان له عبد فعمل العبد بطاعة ربه فسعد، وعمل السيد بمعصية ربه فشقى.

الغبن في الدنيا ممنوع بإجماع في حكم الدين؛ إذ هو من باب الخداع المحرم شرعا في كل ملة، لكن اليسير منه لا يمكن الاحتراز عنه لأحد، فمضى في البيوع، ويكون معنى الآية على هذا: ذلك يوم التغابن الجائر مطلقا من غير تفصيل، أو ذلك يوم التغابن الذي لا يستدرك أبدا؛ لأن تغابن الدنيا يستدرك بوجهين، إما برد في بعض الأحوال، وإما بربح في بيع آخر وسلعة أخرى، فأما من خسر الجنة فلا درك له أبدا.

{وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكْفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ ذَلِكَ الْقَوْلُ الْعَظِيمُ} فاحرص على ما ينفعك!